

ليلى والمجنون مسرحية شعرية صلاح عبد الصبور

إهداء من موقع
الكرامة العربية
www.elkarama.net

إهداء من منتديات
الكرامة العربية
[www.elkarama.net/
egypt](http://www.elkarama.net/egypt)

المنظر الأول

غرفة تحرير في إحدى المجلات الصغيرة التي كانت تصدر بالقاهرة قبل عام 1952. في الغرفة مجموعة من المكاتب والمقاعد، ومائدة اجتماعات، على الجدران صور لبعض قادة النضال القومي. وعلى الجدار المواجه للمائدة لوحة دون كيشوت لدوميه..

الأشخاص: [سعيد - حسان - زياد - حنان].

سعيد: (وهو يمد أمامه بعض صحف اليوم)

انظر .. حسان
أسلوب كالطُرقات المتعرجة الوجلة
يتسكع فيه فكرٌ مخمورٌ متعثّر

حسان :

أرجوك , سعيد ..
كفّ، ولو يوماً، لا غير
عن صوغ الكلمات وحَبْكِ الشعر
حقاً هذي صحف القصر وأبواق
المستعمر
لكن ما أجملها لو قارئها بصحيفتنا
المحتشمة الرافعة لواء الطهر

زياد :

هم يجتذبونَ عيونَ القراء
بإشاراتِ الكلماتِ البرّاقة
والقارئ قد يقرؤهم، قد يهوي في
شَرِكِ الإغواء لكن لا بدّ وأن يلعنهم إذ
يطوي الصفحات.

حسان :

الأرقام تحدّق في وجهك .. أزياد
ساخرةً قد مطّت شفّيتها في
استهزاء
نحن نوزع بضعة آلاف
وصحيفتهم عشرات الآلاف
أما اللعنة ..
فأنا أعرفهم يستجدون سحائبها
كالمؤمن إذ يستجدي البركة

وشعارهم المعتاد
اقرأنا ... والعنا
لكن لا أحد يلعنهم في علن أو في
سر

انظر .. سطح من أفكار رخوة
كالطحلب فوق شطوط البحر
والقراء يحبون الاسترخاء عليها
يلتدون بشم العطن المتخثر
كمريض يتشمم خدرا من كف طبيب
دجال
ويضيقون بنا إذ نلقي بهم في غابة
صبار
لنجرّب شيئا غير الكلمات

سعيد :

ماذا نملك إلا الكلمات
هل نملك شيئا أفضل ؟

حسان :

ما تملكه يا مولاي الشاعر
لا يُطعم طفلاً كسرة خبز
لا يسقي عطشانا قطرة ماء
لا يكسو عُري عجوز تلتف على
قامتها المكسورة ريح الليل
لابد من الطلقة والطعنة والتفجير
إني أحمل هذا في جيب
[يخرج قلما]

حتى أتسكع معكم بين رياض الكلمات
إلى أن يأتي الوقت
لكني أحمل هذا في جيب آخر
[يخرج مسدسا]

حنان :

ارفع هذا الشيء المزعج عن عيني يا
حسان
ولنتحدث في الشعر ,
فالشعر أخف الأضرار

فى العددِ الأسبوعيِّ من (الأزهارِ)
اليومَ قصيدهُ
فى مدح الملك الصالح
للشاعر كامل طلعت
وهو يقول ...

سعيد :

لا .. لا .. أرجوكِ حنان
لا تمتهني الشعرَ، فما هذا إلا كذب
منظوم

حسان :

أنا لا يشفي نفسي ألاّ أقرأ هذا
الشاعر
أنا لا يشفي نفسي ألاّ أقرأ هذا
الشاعر
بل يشفي نفسي ألاّ يكتب حين تطيرُ
ذراعُهُ
[تدخل ليلي]

ليلى : (وهي داخلة)

أي ذراعٍ تمنى لو طارت ... حسان

حسان :

كلُّ ذراعٍ لا تحملُ قبلةً يدويَّة

زياد :

أهلاً ... ليلي
ليلى : (وهي تجلس)
أهلاً .. كيف الحال أيا فرسانَ
المستقبل

حسان :

لا .. بل هم فرسانُ المتحفِ

زياد :

رفقاً حسان
ما تذكره ليس هو الثورة
الثورة أن تتحرك بالشعب

حسان :

ماذا .. الشعب ..
إني لا أعرف معنى هذه الكلمة
لكنني أعرف معنى البيت , ومعنى
الثوب , ومعنى اللقمة
أعرف معنى وجد امرأة هريمه
تنتظر بقلبي دائب
أن يرتفع الدلو بعائلها من بئر
السلطة
أو أن يتشاءب باب السجن عن الولد
الغائب
ليلي :

حسان

ما أخبار حسام ؟
هل زرت قريبا أمه ؟

حسان :

تلهو الشرطة بحسام كما يلهو
المجنون بدُميه
والقلق يحطم أمه

سعيد :

لم يسعدني حظي بلقاء حسام

ليلي :

جئت هنا في اليوم التالي للقبض
عليه

سعيد :

لكني كنتُ قرأتُ له موضوعاً أو
موضوعين
لم يكُ يستهويني أسلوبه

كانت فيه نفس الرئة
رنة أسلوبك يا حسان
أسلوبٌ يستأصلُ، لكن لا يلقي بذراً

حسان :

ستظل مريضاً بالأسلوب إلى أن
تذهم هذا البلد المنكوب
كارثته لا أسلوب لها
ولقد تنسى عندئذ حين توزع ريحُ
الكارثة المجنونة
نارَ النكبة كبطاقات الأعياد
أن تنقذ بضع قصاصات من شعرك
ولقد تتوسد كومتها قدما الجلاد
وهو يدحرج في أسلوب همجي
هذا الرأس العامر بالأسلوب

سعيد :

آسف ... حسان
لم أكن أعني إغضابك حين ذكرتُ
حسام

حسان :

وأنا لم أغضب
لكن ...
[تدخل سلوى]

سلوى :

طبعاً , تلتهم حناجركم نفسَ الطبقِ
اليوميِّ الساخنِ
نفسَ الجدلِ الممتدِّ كجبلٍ تُشنقُ فيه
الساعات الأولى من كلِّ صباحٍ
الله ... الله !
أبشر حسان
جاءت شاعرة أخرى
تشبهان بليغانٍ بخيطٍ واحدٍ
لا بد إذن ما دمتم كلُّكم شعراء
أن أقرأ رائعة العددي الأسبوعي من

(الأزهار)
فأنا في الحق
يملاً قلبي الإعجاب
برقاعة شاعرها الكذاب

سلوى :

لا .. لا .. أرجوكِ حنانُ
عُثِّيتَ نفسي بقراءتها قبل مجيئي
الآن

[تنزع الجريدة من حنان التي تتمسك بها, حتى تتمزق بينهما قطاعا,
حنان تقرأ من قطعة بقيت معها]

حنان :

لا .. بل أقرؤها, أرجوك
سلوى .. انتظري .. هذا مطلعها
(ملك أطل على الوجود بهاؤه) ..

سلوى :

(وهي تنزع الورقة)

لن أعطيك الفرصة

زياد :

بل لن يسعفها الوقت
هذا ميعاد تجمعنا الأسبوعي ,
العاشرة تماما
والأستاذ سيدخل في لحظات

(بلهجة من ينادي شخصا ما)

ادخلُ يا أستاذ

[يدخل الأستاذ, وكأنه يستجيب لنداء زياد].

الأستاذ :

صباح الخير

[يجلس على رأس المائدة,] بينما يجلس حوله المحررون]

هذا ميعاد تجمّعنا الأسبوعي
واليوم .. أحدثكم بحديثٍ قد يختلف
قليلاً

عما اعتدتم من قبل
... من بضعة أشهر
ومجلّتنا تتألق كالوشم الناريّ على
ساعِدِ هذا البلد الممتدّ
أسدٌ لا يحمل سيفاً،
بل يحمل بوقاً يصرخ في صحراء
الزمن اليابس
كي يحيي جثث المرضى المتكئين
على سرر البلوى والخوف المفقّد
الملتفين بأسمال اليأس كما تلتفّ
البذرة ..

فى قشر الموت الأسود
من بضعة أشهر
وكتيبتها تتقدم في أفق الليل المربّد
حاديها نجمان مضيئان بعيدان
الحرية والعدل
ينصب شعاعها في أعيننا، فيشير
جنونا كجنون العشاق
يتحول ما يتكسر من نورهما موجاً
تنحدر عليه الأشواق
نحو المستقبل
المستقبل
الزمن الآتي بالنجمين الوضائين على
كفّيه

الحرية والعدل
الزمن الكاسر للذلة والظلم كما
تنكسر زجاجة سمّ
تتفرق شظايا لا يلتئم لها شمل
الزمن المطلق للأنسام لتحمل حبات
الخصب السحرية
وتفرقها في أرحام حدائق الجرداء
المختومة بالعقم
وأنا حين اخترتكمو من بين شباب
الكتاب
لتصلُّوا جنبي للزمن الآتي كي

ينكشف ويتقدم
كنت - حزيناً - أعلم
إني أسلبكم أياماً ماثلة كي أعطيتها
للحلم
حلم قد لانشهده، خلجان قد لا نرسو
فيها
رغم محبتنا للمدين الدافئة النائمة
ببطن الخلجان
رغم أحبتنا، وضعوا الشمعة في
الشباك، وناموا في اطمئنان
في أعينهم ذكرانا كملائكة رحلوا كي
يأتوا بالغد
كي يأتوا بالمستقبل
حلم قد لا نشهده
ظل قد يبلعنا الرمل ، ولا نرقد في
رغوته الرطبة
ونظل ظلالاً في أفق الصحراء
حتى نتبدد في صُفرتها الباهتة
الملساء
عظاماً باهتة صفراء

زياد :

معذرة يا أستاذ
هل لي أن أقطع حبل استرسالك

الأستاذ :

قل ما يحلو لك

زياد :

في صغري كان أبي يرحمه الله،
ويبقىك إلي أن تشبع من أيامك
لكني ما كنت أطيق الصبر
إذ كنت ذكياً - من يومي -
أتوقع ما سيبعثه من دُر
وخصوصاً إن عاوده داء كان يعاوده
مرّاتٍ خمساً في اليوم

حنان :

ما اسم الداء ؟

زياد :

داء الحكمة
عندئذ كنت أعالجه بالكلمات فكان
يعاجلني باللكمات

الأستاذ :

لن ألكمك , فقل

زياد :

أعرف أنك سوف تقول
والآن ..
يا أصحابي الشجعان
يشتدّ علينا سيفُ السلطان وذهبُ
السلطانُ
وأطالبكم أن تقفوا جنبي
لا أخشى أن يصرعكم سيفُ
السلطانِ
لكنني أخشى أن يفسدكم ذهبُ

حنان :

زياد
لا تتطرف , هذا كان حديثَ الأسبوع
الماضي
إن كنت مصرّاً أن تُبدي خُعةَ ظلكُ
أنبئنا كي نضحك...

زياد :

حقاً , هذا كان حديثَ الأسبوع
الماضي
لكن هل جدّ جديدٌ في دورة أسبوعُ
ما زال القصرُ هو القصرُ
والاستعمار الاستعمار
والأستاذ .. الأستاذ
وزياد المجنون زياد
وحنان العاقلة .. حنان

الأستاذ :

والآن , وقد استعرضت ذكاءك للزملاء
 , كما يتعرض للمارة عريان
 هل لي أن أتكلّم ؟

زياد :

لك ...

الأستاذ :

لم ألحظ ما سوف أكاشفكم به
اليوم أو الأمس
بل أوزق في نفسي هجساً ونما
إحساساً حتى مدّ ظلاله
حتى أصبح رؤيا تتمثل في أوجهكم
كل صباح
حين ألقىكم في منحنيات الدرج
العاري
منطلقين كما ينطلق السهم الأعمى
أو أنظركم فوق مكاتبكم
متكئين كما يتكئ السعف الأخضر
فوق الماء الراكد
أيام الأسبوع تمرّ , ويهوي نجم الليل
المرهق في فجر الغد
وعيونكم شاخصة , حتى يكمل أسبوع
دورته , شهر , شهران
والأيدي تحفر في الأوراق , وتهبط
بالأوراق
تلقوها في فتحة مطبعة جوعي
ثم تمجّ المطبعة الأوراق , لتلقوها
للقراء ,
تتضور بعدئذ جوعاً
وتمدّ الأيدي للأوراق , لتبدأ نفس
الدوره
لا نحكي إلا كلمات متقطعة كإشارات
البرق
ثم يقطّب كل منا وجهه
ويدير المقعد كي ينكفي على ذاته
أو ينكبّ على مكتبه حتى تندمج

الكتلة والإنسان

زياد :

عذراً , لكنني لا أملك أن أسكت
هل يعني هذا أنك تمنحنا عطلة
الله , سأقضيها في النوم
ممدوداً في جوف سريرى حتى تندمج
الكتلة والإنسان
عننى , عن أمي , عن جدّي يرحمه
الله
قال :

من نام فشَفَّ فمات
مات شهيداً , وتحوّل في أعطافِ
الجنة مصطبّةً يتكئ عليها رضوان

الأستاذ :

لا .. لا عُطّله
بل شدوْ وغناء
ستعنى مجموعتنا كي نتعارف
إذ تندمج الأصوات وتتألف ..
نلقي عن أوجهنّ أقنعة العمل
المعقودة

زياد :

هل يعني هذا أننا سنكون فرقة رقصٍ
وغناء
ما أحلاها من فكره
اسمعُ :
(أراك عصي الدمع شيمتُكَ الصبرُ ..)
هل يعجبكم صوتي ؟

الأستاذ :

بل فرقة تمثيل
يكفي أن تتجمع ساعات معدودة
في يوم أو يومين من الأسبوع
وبعيداً عن جو العمل الصحفي
كي نجري تجربة الأدوار
فإذا اتقن كلُّ منا دوره

قدّمنا حفلاً ندعو فيه بعض الأصحاب
الْخُلَصَاء
والآن
فلنتخير عملاً فنياً نبداً به

زياد :

موليير
الشيخ متلوف
فلدينا منه ألوف , وألوف

حنان :

لا , بل إحدى كوميدياتِ الريحاني

حسان :

لا يعجبني الموضوع جميعه
فأنا أتخيّل أنا لا نحتاج إلى أن نضحك
أو نمرح
ضحكُ هذي المدنُ المتبلدةُ الحسنُ
خمسةَ آلافِ سنةٍ
ضحكُ حتى استلقتُ ميتةً فاتحةً
فاها
كالجرح الصديان
طلنت وخر الأيام النحس
دغدغة حنان
إنا نحتاج إلى أن نغضبُ

سعيد :

هذا حق .. حسان
لكن قل لي ...
ماذا نفعل في هذي الغرفة كلّ صباح
إلا أن نشعلَ نارَ الغضب الحمراء
ونظل ندور حوالِها , وندور , ندور ..
كمجذوبين إلى أنْ يَتملكنا الإغماءُ

الأستاذ :

لن نضحك أو نغضبُ
ما رأيكم في قصة حبّ

أتذكّر أنا مثلنا في صغرى قصة
شوقي الحلوة
(مجنون ليلي)
أتذكّر - ما زلتُ - مشاهدّها ومناظرها
وبما أنّي المخرج
فأنا أختار النص

زياد :

لم أكُ أتصوّر يا أستاذ
أنك رومانتىكي حتى هذا الحدّ
لكن لا بأس
فالرومانتيكية واهنة أحيانا كالزبد
الطافي فوق الموج
غاضبة أحيانا كالطوفان الهائج
لكن .. (مجنون ليلي)
أعلى درجات الرومانتيكية
لا أرضني إلا إن قمّت بدور المجنون

الأستاذ :

سيقوم سعيد بدور المجنون ...

زياد :

لا بأس
فليذهب بالشهرة والمجد
لكنني سأنافسه في ليلي
أنا ورد

الأستاذ :

لا .. حسان هو ورد
فله سمّت العقلاء ومظهر أولاد
الناس
وهو فدائيّ، حتى في الحبّ
هل ترضى يا حسان ؟

حسان :

سأحاول يا أستاذ
ولو أنني لا يعجبني الموضوع جميعه !

سعيد :

لكني لا أَرْضِي يا أستاذ
فأنا لم أَغْلُ الخَشْبَةَ قطُ

زياد :

لا تفرغُ
فستدخل فيها حين تموتُ
أو تعلوها إذ تُشنقُ

سعيد :

لا .. لا .. أنا لا أصلح للدور

حسان :

لا , بل إنك أنسبنا للدور
إذ وجهك يصلح للإغماء
وتجيد الشعر

سلوى :

وتجيد الخُبِّ

الأستاذ :

من ليلي ؟

سلوى :

ليلى هي ليلي

وهناك عشرة أسباب تجعلها أنسبنا للدور
منها خمسة أسباب ظاهرة كالشمس وخمسة أسباب لا يعرفها إلا سلوى
زياد :

أو قيسُ

الأستاذ :

كُفَّا عن عرض ذكائكما المتوقِّد
ليلى

أَقْبِلْتُ الدَّورَ ؟

ليلى :

لا أدري يا أستاذ
فلعلني آخر من يتحدث
فأنا لا أعرف نفسي بعد

الأستاذ :

لا , بل إنك ليلى
روح ضائعة بين الواقع والحلم

زياد :

هل تنساني عمداً يا أستاذ

الأستاذ :

لا , بل أنت زياد صاحب قيس

زياد :

وا أسفاه
حلّت بي لعنة هذا الاسم

الأستاذ :

والآن ... سلوى

[يدخل الحاج علي عامل المطبعة, وفي يده سلخة لم تجف بعد]

الحاج علي :

معذرة يا أستاذ !

الأستاذ :

ماذا يا حاج
هل منعه كالعاده ؟

الحاج علي :

اكتب موضوعاً آخر

الأستاذ :

هذا ما كنت أظنُّ
أرجوكم أن تمضوا في توزيع الأدوار
جلستنا الأولى بعد غدٍ في نفس
الموعد
هيا يا حاج علي
لنرى ما يمكننا عمله
هيه ... ماذا أكتبُ ؟
فلأكتب في الحبِّ
إلاَّ إن كان الحبُّ مثيِّرًا لحساسيةِ
القانونِ
لا أتوقَّع أنَّهمو قد منعه بعد

زياد :

لا , بل منعه
اسمع يا أستاذ

[يقرأ في إحدى الصحف المنشورة أمامهم]

(لمحت عينا شرطي شابًا وفتاةً في إحدى المنحنيات الخافتة الضوء,
فترصَّد لهما حتى امتدت كفَّ الشاب تداعب كفَّ صديقه. فانقضَّ كما
ينقضَّ الصقر, وساقهما للمخفر).

ويضيف الصحفي :

(ونحن نحیی لرجال الأمن مروءتهم وحماستهم للخلق الطيب, فالأمم بلا
أخلاق لا تبقى أو تتقدم, والأعراض أمانة, تحميها الشرطة من عبث
الأنذال. بل إنَّا نتمنى لو خلت الأمة من داء الفرنجة الطارئ مثل القبعة
ولبس المايوهات ..)

الأستاذ : (مقاطعا)

عبثُ, والأيام تجدُّ
لا أدري كيف ترعرع في وادينا
الطيب
هذا القَدْر من السفلة والأودغاذ

حسان :

يا أستاذ
لا تكتب في الحبِّ
أكتب في النِّقمة والبغضاء

هذا عصر البغضاء
لا تنس .. اكتب في البغضاء .
[ستار]
المنظر الثاني

حول مائدة الاجتماعات - بروفات تمثيل [الأستاذ - سعيد - زياد - حسان -
ليلي]
الأستاذ :

والآن
دورك يا ليلي
لم نتقن هذا المشهد بعد

ليلي :

أحقا حبيب القلب أنت
بجانبي
أبعد تراب المهد من أرض
عامر
أحلم سري أم نحن منتبهان
بأرض ثقيف، نحن مغتربان

الأستاذ :

حسن جدا
في كل امرأة عاشقة بالفطرة

زياد :

ومثلة بالفطرة

ليلي :

خير لك أن تتقن دورك ..

زياد :

لا أعرف لي دورًا حتى الآن
شبح يبحث عن جسم يسكن فيه
في لعبتنا، أنا ظل أو راوية يحكي ما
أنشده صاحبه الموهوب
أما في لعبتنا الكبرى ، ما يدعوه
العقل

حياة أو أياما أو مستقبل
فأنا .. أنا لاشيء
رجل يهرب من صورة طفل

حسان :

سيدكرنا بطفولته التعسة
مجروحٌ يستعرضُ جرحه

زياد :

أرجوك
دعني أستعرضُ جرحي , لكن لا
تستعرضُ أحقادك

حسان :

أحقادي ؟.. هه
إني أرثي للضعف وللضعفاء
تُغني نفسي كلمات الذلّة
لا تنسَ أن تستجدي بالفقر كما
تستجدي امرأة بالعزى
انظر يا سيّد
ثوبي ممزوق يكشف عن إبطي نهدي
هَلَّا لملمت الثوبَ بقرشٍ أو قرشين
وكأنك مثل المرأة
لا تستجدي قرشاً, بل تستجدي تبريراً
للهواية المنتظرة
يوماً ما ستخون لأنك مملوء بالضعف

زياد :

بل أنت
يوماً ما ستخون لأنك مملوء بالحد
وبالبغضاء

الأستاذ :

أوه, كُفّا عن هذا , لِمَ لا تصفو
نفسكما
لا . لن يهوي أحكما في قاع الوحل
ستظلان شريفيين

حسان وزياد وجهان لشيء واحد
المبدأ إذ تغنى فيه النفس وتتصوف
قد يصبح دمعهُ
أو يصبح خنجرُ
لكن ما أحوجنا للحبِّ
ما أحوجنا أن نسمع كلمات (بريخت)
الطيب:
(أنا حين أردنا تمهيد الأرض لينبت
فيها الحب
ما استطعنا من وطأة ميراث الماضي
..
أن نعرف حُبَّ رفيقٍ لرفيقه ...)

حسان :

هيه يا أستاذ
الحُبُّ ... الحُبُّ
لن يصنع مستقبلَ هذا البلد الحُبُّ
المتأوِّه
بل يصنعه العنفُ المتلهَّب
مجموعة أشعار بريخت ورفاقه
من جوته حتى آخر ثرثارٍ عرفتة اللغة
الألمانية
لم تمنع شرذمة النازية
من أن تتربع فوق كراسي السلطة

الأستاذ :

لكنَّ النازية سقطتْ يا ولدي

حسان :

لم تسقُطْ بالكلمات

الأستاذ :

يا ولدي
تاريخ الإنسان صدى خفقات القلب
الملهم
لا تاريخ القفازات السوداء وحمامات
الدم
والآن ...

لنُعْذِرْ لِرَوَايَتِنَا
كَمْ كُنْتُ مُصِيباً حِينَ تَلَمَّسْتُ سَبِيلاً
كَيْ نَتَلَاقَى فِي دَائِرَةِ الْفَنِّ
لَكِنِّي كُنْتُ مُصِيباً أَكْثَرَ
حِينَ اخْتَرْتُ لَكُمْ هَذَا الْعَمَلَ الْفَنِّي
(مَجْنُونٌ لَيْلَى)
وَالآنَ
هَاتِ حَدِيثَ الْحُبِّ
قُلْ يَا سَعِيدُ
(تَعَالَى نَعِشْ يَا لَيْلَى)

سعيد :

تَعَالَى نَعِشْ يَا لَيْلَى فِي ظِلِّ
قَفْرَةٍ
مَنْ الْبِيدُ لَمْ تُنْقَلْ بِهَا قَدَمَانِ
تَعَالَى إِلَى وَادٍ خَلِيٍّ وَجَدُولٍ
وَرَّتْ عَصْفُورٌ , وَأَيْكَةٌ بَانِ

الأستاذ :

لَا
غَمَغَمَ بِالْكَلِمَاتِ كَغَمَغَمَةِ النَّيْرَانِ إِلَى
الْعَشْبِ
أَرْجُحُ صَوْتَكَ , حَتَّى يَتَمَزَقَ بَيْنَ الْجَهْرِ
وَبَيْنَ الْإِيمَاءِ
حَبْلُ وَقَفَاتِكَ بِالْمَعْنَى , أَثْقَلُ قَافِيَةِ
الْأَبْيَاتِ بِأَلْوَانِ الْإِيحَاءِ
هَاتِ مِنَ الْقَلْبِ , وَقُلْ :
تَعَالَى نَعِشْ يَا لَيْلَى فِي ظِلِّ
قَفْرَةٍ
مَنْ الْبِيدُ لَمْ تُنْقَلْ بِهَا قَدَمَانِ
تَعَالَى إِلَى وَادٍ خَلِيٍّ وَجَدُولٍ
وَرَّتْ عَصْفُورٌ , وَأَيْكَةٌ بَانِ

مَاذَا تَبْغِي مِنْ لَيْلَى فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ
إِنَّكَ تَبْغِي مِنْهَا أَنْ تَكْسِرَ قَشْرَ
مَخَافِهَا , تَخْرُجَ مِنْهُ الْمَرْأَةُ طِفْلاً
مُتَسَرِّبَةً بِالشَّهْوَةِ وَالصَّمْتُ
تَتْبَعُكَ إِلَى جِزْرِ الْحَبِّ الْمَلْعُونِ
الْجِزْرِ الْمَتَوَحِّدَةِ عَلَى أَطْرَافِ الْكُونِ
الْمُنْسِيَّةِ
أَوْ تَرْقَدَ تَحْتَ جَنَاحِكَ نَاشِرَةَ الشَّعْرِ
كَجَنِيَّةٍ

فى تابوت اللذة والموت إيه ... قُلْ

سعيد :

من اليد لم تُنقل بها قدمان	تعالى نعيش يا ليل في ظل قفرة
ورنة عصفور , وأيكة بان	تعالى إلى وادٍ خليّ وجدول
وأحلام عيش من دد وأمان	تعالى إلى ذكر الصبا وجنونه
وقبل الهوى ليست بذات معان	فكم قبله يا ليل في ميعه الصبا
وإذ نحن خلف البُهم مستتران	أخذنا وأعطينا إذ البُهم ترتعي
ولا ما يعود النفس من خفكان	ولم نك ندري قبل ذلك ما الهوى
كما لف منقاريهما غردان	منى النفس ليلى , قربي فاك من فمي
ولا السقم روحانا ولا الجسدان	ندق قبله لا يعرف البؤس بعدها
على شفقتنا حين تلتقيان	فكل نعيم في الحياة وغبطة
مع القلب قلب في الجوارح ثان	ويخفق صدرانا خفوقاً كأنما

[صوت من الخارج]

حسام :

هل أدخل يا سادة ؟

ليلى :

هذا صوت حسام
[يدخل حسام]

الأستاذ :

أهلاً بحسام
[يعانقه]
وأخيراً عدت إلينا

دعني أنظرك
دعني أملاً عيني منك
فلكم كنا نفتقدك
كل الزملاء
مازلت كما أنت ضحوكاً وسميناً
لم تركوك ؟
هل ضاقوا بطعامك ؟

حسام : (وهو يصفح الآخرين معانقاً)

بل لم يجدوني أهلاً للسجن
فطروني
واعتذروا عن غفلتهم إذ حبسوني
شهرين
لما وجدوا الثورة تشتعل بدوني

الأستاذ :

هذا آخر من وقَد إلينا
سعيد .. شاعر

سعيد :

أهلاً بك

حسام :

أهلاً
لم أقرأ لك
لكني - وأعاهدكم - سأثقف نفسي
أهلاً ليلى
قد زدتِ جمالاً حتى أصبحتِ مثلاً
للحُسن

ليلى :

شكراً

الأستاذ :

حدثنا عما فعلوا بك

حسام :

كانوا رفقاء
أخـذوا مني الساعة
والنظارات , ووضعوا
حتى أحياء في ظلمات العصر
الحجري
فأقـدّر حين خروجي ما
منحوه للو
إذ نقلوه من ظلمات العصر الحجري
إلى بهجة عصر الشرطة

الأستاذ :

يا أصحابي
يكفي هذا التدريب الليله
ولنحتفل الآن بعودة جندي غائب
هيا ... هيا ...
فحسام قد عاد إلينا

حسام :

أعـلى ثقة يا أستاذ
أن رجوعي يستأهل أن تحتفلوا به
?

الأستاذ :

هل في ذلك شك ؟

حسام :

بلى .. في ذلك شك .
[ستار]

المنظر الثالث

[غرفة التحرير - ليلي وسعيد]

سعيد :

ليلى أرجوك
لا تلتصقي بالصمت كما يلتصق
اللباب
الخائف بالشجرة

هل كنت تحبين حسام ؟
فلقد أنهكني شهران من الشك
منذ بدأنا التدريب على الأدوار

ليلى :

شجعت نفسي من هذا الاستجواب
لَا , لَن أَتَكَلَّم

سعيد :

بل قولي ما شئت ,
فعنــــــــــــــــدي القدرة حتى
أن أسمع وقع
قــــــــــــــــولي ,
لــــــــــــــــن تجديني بركة ماءٍ
راكدةً تطوى في
ما تلفف صفحتها من خبث وطحالب
عكره
بل تجديني بحرًا , لا يتعكّر أبدا
يتمخضُ فوّارًا حتى يلقي في
الشطّان
ما تلفظه دواماتُ الماء من
القيعان
حــــــــــــــــتى يهلكها وقد
الشمس وتذروها ال
قولي ما شئت
وسأنساه كأني لم أسمع
ســــــــــــــــأطهّرُ أذنى منه كما
إذا نطقــــــــــــــــت ..
لم تغفل شيئاً ..
قــــــــــــــــولي

ليلى :

ســــــــــــــــعيد
ماذا تبغى ؟
ســــــــــــــــعيد :
لا أبغى إلا ما كان

ليلى :

بَلْ إِنَّكَ تُبْغِي أَنْ تُثَبِّتَ شَيْئًا فِي
نَفْسِكَ
فَ— فِي نَفْسِكَ مَاءٌ عَكْرٌ
تُبْغِي

سعيد :

ليلى .. أرجوكِ
لن أسأل ثانية في هذا الموضوع
فلندفنه الآن
لكني أبغي أن أتمس جسده
أن أخنقه بيدي إن كانت ما زالت فيه
حياه
أو أن يغنى في النور إن كان مجرد
شبح أجوف
يتسكع في ظلمات الشك
ليلى .. هل كان يُحبكِ ؟

لیلی :

لا أدري .. كان يغازلني

سعيد :

بالكلمات .. ؟

لیلی :

ماذا غير الكلمات ؟

سعيد :

مثلاً ؟

لیلی :

لا أذكُر

سعيد :

هل كان خفيف الظل ؟

لیلی :

يروى أحياناً بعض النكت المكشوفة
ويغني أحياناً

سعيد :

لا يبعث أنغاماً إلا القصب الأجوف
هل أحبته ؟

ليلى :

أول رجل غارلني

سعيد :

ماذا أعطيتهُ

ليلى :

بعض الودُ

سعيد :

أين ؟
هل أبخر وذكما فوق سريره
أم أغفى تحت سلالم بيته
وهل استفتح وذكما ملهاة الحب
ببعض النكت القذرة

ليلى :

أوه , سعيد
أرجوك
إما أن تسكت أو تتركني في حالي

سعيد :

لا أقدرُ

ليلى :

تعلم أنني لم يلمسني أحد حتى الآن
صدقني , إلا إن كانت نفسك تتلذذ
بالشك
كما يتلذذ خفاشٌ بالدم

صدقني , أرجوك
كنت كأني أنتظرُكُ
حطُّ عيناَيِ التائهُتانِ على وجهكُ
كالطيرِ الهائمِ في الآفاقِ إلى أن
صادفَ عُشَّهُ
ليلى والمجنون
هذي المأساة الحلوة ,
شهران من التدريب ,
رجرجة في صوتك حين تناديني ..
كي أتبعك وأترك ماضيَّ كما تترك
لؤلؤة علبتها السوداء
كي تبرز للشمس وللنور
صدقني
إنَّ حساما لا يعني عندي شيئاً
لما غاب قليلاً
نزلق على ذاكرتي مثل العَبَشِ على
سطح الكأسِ الملساء

سعيد :

ليلى
إنى رجل مرهقُ
جاوزتُ العشرين ببضع سنين ,
لكني أشعر أني متغصنُ
لا , وجهي , بل أعصابي وخيالي
ودمائي
لا أبصر نفسي , بل أبصر مخلوقاً
معروفاً هرماً
تتوكأ كتفاه على أقربِ حائط
ليلى
إنى أتعلق من رُسغي في حبلين
الحبلان صليبي وقيامه روعي
الحرية والحب
والحرية برقُ قد لا يتفتق عنه غيم
الأيام الجهمه
برقُ قد لا تبصره عيناَيِ , وعينا جيلي
المتعبُ
لكنَّ الحبَّ يلوح قريباً مني
ليلى
هل تدريين ؟

ما معنى أن يمنح رجلٌ لامرأةٍ قلبه ؟
رجلٌ مثلي جافٌ كالصبار
لا يملك إلا هذي الزهرة

ليلى :

سعيد ... أرجوك
لا تجعلني أبكي
كم يسعدني حبك لي
كم يسعدني حبي لك

سعيد :

حبك لي
ماذا يعني الحب لديك ؟
فلقد أصبح لفظاً من كثرة ما يعنيه ..
لا يعني شيئاً

ليلى :

لا تُدخِلني في تيه التفكير المعتم
دعني أتحدث عنه بإحساسي المفعم
لا معنى للحب لديّ بدونك
أنت الحب
يبدو لي أن المرأة لا تعرف معنى
للحب بدون المحبوب
ما أعرفه أنني حين أراك
تلتف حوالياً عيوني كالخيوط على
المغزل
ما أعرفه أنني أتخيلك كثيراً , في
وحدتي الرطبة
أحياناً أتخيلك كما أنت
وكأنني أرسم صورتك بأنفاسي
جبهتك المشرقة الصلبة
عيناك الطابتان المتعبتان , وإرخاء
الهدب المثقل
خداك المنحدران إلى ذقنك
شاربك المهمل
كفاك المتكلمتان , وعيناك الصامتتان
تنيران وتنطفئان
مشيتك المرهقة المتماسكة

الخطوات , كمشية جندي بين قتالين
مريرين

سعيد :

هذا ليس أنا
هذا الرجل الملتف بجسدي

ليلى :

أعرف أيضاً روحك
أعرف ما يثقلها أحياناً , ويميل بها
نحو كآبة مغربها الداكن
أعرف ما يُسكرها أحياناً , ويؤرجحها
في رغوة نور الفجر

سعيد :

حقاً يا ليلى تدرين شقائي

ليلى :

وأقدّسه وأباركه يا حبي
وسأحمله في صدري طفلاً منك

سعيد :

أوه
ليلى .. ليلى
[يتقدم نحوها]

[يدخل زياد وحنان]

زياد :

هل هذا في الدور ؟

سعيد :

أهلاً بكما يا أكبر كُتّاب العصر
ماذا أبطأ بكما اليوم ؟

حنان :

كنا نجمع مادة موضوع عن سيدة بارّة
كاملة الأوصاف
مُثرية وجميلة
ومثقفة أيضاً
وتحب الموسيقى
لكن هذا كله
لا يشغلها عن واجبها في عمل
المعروف
فهي تحب الأيتام وترعاهم , حتى
تضمن مقعدها في الجنّة

زياد :

ولقد ضمنتُ مقعدها في قلبي
أرأيت إذا طرحت معطفها فوق
الكرسي الأزرق
والتفت فيه شامخة يتألق مرمرها
المشرق
كانت كبنفسجةٍ شبت من وهج
الشمس
واسترختْ إذْ خزنتْ منه ما يكفيها
كي تعكسه حين تشاء

ليلى :

يبدو أنك أعجبت بها

حنان :

ثوري ومنافق
ينسى مبدأه .. في خُفّي أولِ أنثى
يلقاها

زياد :

لا بل قد خالجنى إحساس طبعي

سعيد :

ماذا ؟

زياد :

قلت لنفسي
ماذا لو تلمس كفيّ الخشنه
هذا الجسدَ الشمعيّ المتألق
حتى يتفتح لي كخليج ينتظر المركب
ماذا لو انتقمُ لجمع الفقراء المرهق
من عِزّة هذا التمثال الشاهق

حنان :

ولماذا لم تبذل جهدك ؟

زياد :

انتابني الخوف

حنان :

منها ؟

زياد :

بل منك

حنان :

بل أنت منافق
تبغي أن تُلبس إحساسك
ثوباً مسروقاً من أكفان الأفكار
وعلى أية حال , فلتسمع هذي الكلمة
ولتدبر معناها
لا يعنيني ما تفعله في شيء
بل إنك - شخصياً - لا تعنيني
هيا لنُعدّ الموضوع
[يتجهان إلى أحد المكاتب, ويبدأن إعداد الموضوع. بينما تدخل سلوى
وحسان. ويتجهان إلى أحد المكاتب وهما يذرعان الغرفة, وحسان
يستأنف حديثه]

حنان :

لكني لا أتصور
أن فتاةً متقدمة الفكر
تعترف لقسيس أو توقد شمعاً
للعدّاء

سلوى :

ماذا في ذلك ؟

حسان :

إنّا لا نحتاج ...
بل نحتاج إلى القوة

سلوى :

إنني أتمس القوة من ديني

حسان :

التمسيها من داخل نفسك

سلوى :

لا وقت لكي أشرح لك
[يدخل الأستاذ ومعه حسام]

الأستاذ :

ما هذا اليوم المشرق
كل اثنين على جانب
أقول صباح الخير
أم أتفاءل, وأقول
صباح الحب

حسان :

أهلا يا أستاذ

الأستاذ :

ما دمتم قد أصبحتم إلغاً وأليفة فلقد
أصبحت الحفلة لا جدوى منها

زياد :

لا ... لا تتفاءلُ يا أستاذ
ما زلنا ننتزع الأشواك من الورد
نحتاج إلى بضع بروفات أخرى

الأستاذ:

لا ... فلقد قادكم التمثيل إلى الواقع
والواقع أكثر صدقا

حسام :

أو أكثر تمثيلا
[ستار]
الفصل الثاني

المنظر الأول

المنظر نصفان, نصف مضاء ونصف مظلم, في النصف المضاء الأيمن
غرفة سعيد, ولها باب يؤدي إلى المطبخ, وأثاثها بسيط

[سعيد - ليلي]

ليلى :

واتتني الجراءة أن آتي لأزورك
بيتك يبدو أجمل مما تحكي عنه

سعيد :

بل أصبح أجمل حين دخلته
هل أصنع لك شاي ؟

ليلى :

شكراً يا حبي
سلوى سألتني اليوم
متى نتزوج

سعيد :

ماذا قلت لها ؟

ليلى :

قلت لها ما أعرف
أني لا أعرف

سعيد :

ماذا قالت ؟

ليلى :

سألتني أن أسألكَ

سعيد :

هل يعينها الأمر ؟

ليلى :

سلوى تتمني لي الخير

سعيد :

هل أمك في خير ؟

ليلى :

أمي ؟

سعيد :

أفليست زوجة ؟

ليلى :

نعم

سعيد :

وسعيدة ؟

ليلى :

لا أدري, لم أسألها عن هذا قطُ
أمي كالبركان المختوم
لا تتفتح أحياناً إلا مُلقية بالحممِ على
رأسِ القدرِ المقسومِ
لكن الأيام تمرُّ, وقد شَبَعَتْ منها
وابتسمت في أولها ما يكفيها زاداً
لمرارةٍ آخرها
فأبي يرقد في فرشته مشلولاً منذ
سنين

أم لا تبرق عيناها إلا حين تميل عليه
حانيةً في شوق مكتوم
وأظن بأنهما قد نهما بالحب طويلا
قبل هجوم العلة والشيب

سعيد :

هل أعجبك الشاي ؟

ليلى :

لا بأس

سعيد :

أم ليست في خير ؟
هل أنت سعيدة ؟

ليلى :

جدًا

سعيد :

بم أنت سعيدة ؟

ليلى :

بالحبِّ , وبكُ
بحنانك ... بالأيام
وبأحلامي إن طافت في أفق الغد
عادت لي لتدغدغ قلبي في مرح
وصَّاء
بالنومِ على صورتك المرتسمة فوق
عيوني
كالزَّبدِ الطافي فوق الماء
بالصحو على أمل اللقيا
آه ما أسعدني
سأحدثه ويحدثني
فلينهمر الشعر المعقود على خدي
وعيني
ولأطلقه يغني .. ويغني
ولأطرد ظلَّ الوَسَنِ النعسان

عن جسمي المثقل بالأحلام
ولأبرز مشرقة كي أتألق في بلورة
عينيك الصافيتين
أتحطم ألف شعاع كي ألتّم وأتحطم
لكن سعادتنا لا تكمل إلا ...

سعيد :

هل حبك ناقص ؟

ليلى :

أتمنى لو عشنا في عشٍّ واحد

سعيد :

تعين ... سريرٍ واحد ؟

ليلى :

كالأزواج جميعاً يا حبي

سعيد :

أهو الجنس إذن ؟

ليلى :

بل هو تحقيق الحب

سعيد :

الحب إذن وهمٌ دونَ الجنس ؟

ليلى :

بل هو شوقٌ ظمآنٌ يبغى أن يتحقق

سعيد :

هل كلُّ الزوجات يمارسن الجنس
بشوق الحب ؟

ليلى :

لا أدري

سعيد :

أمي كانت تستلقي في كتفي رجل
تبغضه بغض الموت
كانت حين ينام سعيدا بفتوته
المنهوكة كل مساء
تهرع للحمام لتستفرغ ما في معدتها
من زادٍ أو ماء
قد سَمَّمَهُ رِيْقُهُ
لا أبغي أن أفتحَ غرفة تذكاراتي
السوداء
لكن , لا بأس إذا لم يضجرك حديثي

ليلى :

افتحْ إنْ كان يريحك

سعيد :

لا أدري هل يشفيني هذا أم يشقيني
مات أبي, وأنا ابن سنين عشرة
أتذكر ما زلت النعش الملفوف, وقد
أسند للحائط
هل كان زجاجاً أو خشباً,
لا أدري
فأنا أتخيل أنني كنت أرى من داخله
جثة من كان إلى ساعاتٍ يؤويني بين
ذراعيه ..
فأحسُّ بأني أنساب إلى الأمن كما
ينساب الحيوان إلى جحره
لكن الجثة كانت غائمة, يتماوج حول
ملامحها شيء.. هل كان هو الموت ?
كنتُ وحيداً تعساً وسط الحجرة
هل كنتُ أولولُ وأنوحُ, كما ناحت
أمي والنسوة منذ الصبح الباكر
أم كنتُ أتابع بعضَ الأصوات المتسللة
من الخارج
أتذكرُ هذا الصوتُ
بائع صحف يذكر مصرع طلاب شهداء
كانوا يحتجون على شيء ما, أعرفه

الآن
مات أبي في فرشته مطحون الصدر
من الإعياء
يوم استشهاد الجرّاحي ورفاقه
جاءت أمي بعد قليلٍ إذ هبط الليل
مسحت خديّ، قالت
أنا أمك وأبوك
[يظلم الجزء الأيمن ويضئ الجزء الأيسر عن حجرة بالغة الفقر، لنرى
سعيداً طفلاً وأمه نائمين]

الطفل : أمي

أنا خائف
أبعود الموتى يا أمي، حين يجئ
الليل، وتخلو الطرق من الناس

الأم :

نَمْ يا حبيبي نَمْ
ويا زمان ابتسمْ
للولد الجميلُ
يأتي لك الصباخُ
بالخير والنجاحُ
والأمل الظليلُ

الطفل :

أمي
جوعان

الأم :

ويلي من أيامي
روحي مترعة بالحزن
وقد اجتثت شجرتنا الوارفة الظل
وانهدمت بوابتنا المنقوشة بالريحان
وبالفل
قلبي مخلوع بالخوف ...
يلقيني الصبحُ المتجهّم في سجنِ
الليلِ القاتم
لا يحنو لي إلا سِنَّة النوم وتهويم

الحلم
نمّ يا حبيبي نمّ
ويا زمان ابتسم
للولد الجميل

الطفل :

أمي
جوعان

الأم :

بعنا آنية البيت
[يظلم المشهد الأيسر للحظة, ثم يضاء لنجد الطفل يدخل مسرعاً, وقد
كبر عاماً أو حول ذلك, قادماً من الشارع حيث كان يلعب]

الطفل :

أمي
جوعان
جوعان

الأم :

أهلاً يا ولدي
ما أحلى قسماتك تضحك فيها شمس
الصيف

الطفل :

أمي
جوعان

الأم :

بعنا الدولاب وإحدى المرتبتين
[يظلم الجزء الأيسر لحظة, ثم يضاء, لنجد سعيداً نائماً في حضن أمه
وقد طال قليلاً, والغرفة خاوية أو تكاد..]

الطفل :

أمي .. جوعان
جوعان

الأم :

يا ولدي يا حبة عيني
لم يبق لنا مما يعرض في السوق
إلا أنت بسوق الخدّامين
وأنا في سوق الحُبِّ
نمّ يا حبيبي نمّ ويا زمان ابتسمّ

للولد الجميلُ
[يظلم المشهد الأيسر، وينير المشهد الأيمن]

سعيد :

ما زلنا في مدخل غرفة تذكاراتي
السوداء

ليلى :

(باكية) عانيت كثيراً يا حبي
اسكُتْ ملح جراحك في قلبي

سعيد :

قلبك ... لا يتسع لكلّ جراحي
هل نتقدم في الغرفة بعض الخطوات
؟

[يضاء المشهد الأيسر، ويظلم الأيمن، الأم في ثوب أحمر فقير. الطفل
نائم إلى جوارها]

الأم :

سعيد
إنك ولد عاقل هل تذكر هذا الرجل
الطيب. الرجل الطيب ذا الجلاب
الأسود. يأتينا في بعض الأحيان.
يحمل بين
ذراعيه خبزا وإداما. ويحبك. أحيانا
يقرص خديك
الورديين. أحيانا يتحسس خصلة
شعرك. هذا الرجل
الطيب يبغي. يبغي أن يتزوجني. هل
تعلم ما معنى هذا

يا حَبِّي الأوحـد. سوف ينام إلى جنبـي
في بعض الأحيان.
قد يقرص خَدَّي كما يقرص خديك. قد
يتحسس شعري.
وسياتينا في كل مساء, أو في كل
مساءين. إذ إنَّ له
امراًة أخرى. وسياتينا دوماً يحمل
خبزاً وإداما..
أعطاني عشرين جنيهاً. هل تشعر
بالجوع أيا نور عيوني ؟

[الضوء يخفت قليلا في النصف الأيسر لنرى رجلا فارغ الطول, يرتدي
جلباباً ومعطفاً. أبرز ما فيه, فضلا عن طوله, حذاءؤه الغليظ ذو الرقبة
وشاربه المبروم, يدخل بقدمه بين المرأة والطفل]

الرجل :

الليلة نخس من أولها
ولد لكع لا يبغي أن يتزحزح
يا بن النجسة
أوسع لي شبراً أتمدّد فيه

الأم :

(وهي تمسك حذاء الرجل)

صبراً حتى يأوي الطفل إلى النوم
وتروق لنا الدنيا

الرجل :

لا وقت لدي لكي أستمتع بدلالك
لن يحميك الطفل, فأنت امرأة نكدة
أرسلت لك اليوم طعاماً, فهل امتلأت
بطنك

[يتحسس بطنها بحذاءه]

وهل امتلأت بطنك يا بن النجسة
نهم كالدوده
ورذيل أيضاً حين تبصيص بعيونك

[يتحسس بطنه بحذاءه]

الأم :

أرجوك
دعه وشأنه
إنك رجل طيب
لا تتحرش بـ غلام مسكين

الرجل :

ها ! ها !
في آخر زمن أتعلم من نجسه
كيف أكون - كما قالت - رجلاً
لكنني سأريك الآن
إني رجل , وزيادة

[يحاول نزعها من الأرض فتتشبث بها, يهوي الرجل فوقها ويظلم
المسرح تماماً, وبعد لحظة نسمع صوت المرأة تتأوه ألماً]

الطفل : (باكياً بصوت مرتفع)

أمي .. أمي

[يضاء نور النصف الأيمن]

سعيد :

هذا أنا أبكي
لم أبك كثيراً إذا علمني الزمن
القاسي
فيما بعد
أن أبكي في أوراقي

ليلي :

صنعتُ منك الأيام المرّة إنساناً
حساساً

سعيد :

صنعتُ منّي الأيام المرة إنساناً
مهزوماً

ليلي :

لم لا تؤمن بالمستقبل؟

سعيد :

بل إني أخشاه لأني أومن به
أومن أن لا بدَّ لكلِّ زمانٍ من مستقبلٍ
أوشك أحيانا أن أخطئه لخط العين
ولهذا فأنا أبصره ملتقاً في غيمٍ
أسود

ليلى :

كيف ؟

سعيد :

فى بلدٍ لا يحكُم فيه القانون
يمضي فيه الناسُ إلى السجن بمحضِ
الصدفة
لا يوجد مستقبلُ
فى بلدٍ يتمدّد في جثته الفقرُ, كما
يتمدد ثعبانٌ في الرملِ
لا يوجد مستقبلُ
فى بلدٍ تتعرى فيه المرأةُ كي تأكلُ
لا يوجد مستقبلُ

ليلى :

سعيد

فكر في مستقبلنا نحن ...

سعيد :

كانت أُمي أيضاً تطمَعُ في المستقبلِ

ليلى :

سامحني أسعيد
إنك تتحدث عن حاله
ليست أقدارُ الناسِ جميعاً في هذا
السوء

سعيد :

أنا لا أتحدث عن حالة
بل أتحدث عن حالي

ليلي :

فكّر في الحبّ

سعيد :

بل إني لا أحيّا إلا للحبّ

ليلي :

سعيد
إني أتمنّاك

سعيد :

أنا لك يا ليلي

ليلي :

لي كي أحمّلك على أهدا بي كالحلم
المفقود
إني أبغي أن أضعّك في عيني كالنور
سعيد
انظُر لي : والمسنّي , وتحسّسني
إني وتر مشدود
يبغي أن ينحلّ على كفّيك غناءً
وتقاسيم

سعيد :

أوه ... الجنس
لعنتنا الأبدية
وجه الحب المقلوب

ليلي :

لا , بل وجه الحب المبتسم
سعيد
جسمي يتمنّاك كما تتمنّي الطينة أن
تُخلّق

جسمي يتمنّاك كما تتمنّي النارُ النارُ

سعيد :

وإذا انطفأتُ

ليلي :

عادت فاشتعلتُ

سعيد :

نار ديسه
لا تنتج إلا دتسا

ليلي :

والأطفال ؟

سعيد :

أنجبتِ النارُ الديسه من أمي ستّة
أطفال

ليلي :

سعيد .. حبيبي
وا أسفاه ..
إنّك خربٌ ومهدّم
لا تصلح إلا كي تتسكع في جدران
خرائيك السوداء
وأ أسفاه
أحببتُ الموت
أحببتُ الموت

[تنصرف نحو الباب]

[ستار]

المنظر الثاني

[مقهى وحانة رخيصة - سعيد وزياد وحسان يجلسون على مائدة - النسوة
يرحن ويجنن]

سعيد :

النسوة يتحدثن .. يَرْخُن, يَحْنُ
يذكُرُن مايكل أنجلو

حسان :

ما هذا ؟

سعيد :

بيت للشاعر إليوت

حسان :

ما معناه ؟

سعيد :

معناه أَنَّ العاهرة العصريَّة
تحشُو نصفَ الرأسِ الأعلى بالحدلقةِ
البرَّاقةِ
كي تُعلي من قيمةِ نصفِ الجُسمِ
الأسفلِ

زياد :

معناه أيضاً
أنا لم نصبح عصريين إلى الآن
حتى في العُهرِ
[تمرُّ امرأة]

هل تعجبك .. سعيد

سعيد :

لا , هي أجمل مما أبغي
فَتَشُّ لي عن أقبح وجهٍ لعجوزٍ في
الخمسين
حَمَلْتُ مراتٍ سبعةً
سُتُّ من هذه المرات سِفاحاً

زياد :

حدّثني .. حسان
لم نهفو للعُهر كما يهفو المِصرّار
إلى الأوساخ

حسان :

يبدو أن العالم عاهر
[تمر امرأة فيجذبها زياد إليه,
ويسألها]

زياد :

هل اسمك عالم ؟

المرأة :

لا, بل اسمي دُنْيا

حسان :

أرايت ؟
كم عمرك ؟

المرأة :

دعني أتذكّر
ولدتني أمي في عام الهوجة

حسان :

أية هوجة ؟

المرأة :

هوجة سعد

سعيد :

آه .. تعني ثورة سعد
لا .. لا تَصْلُح لك
هذا رجل يبغي امرأة وُلدت في هوجة
حتشبسوٲ

[يدخل مِغن ضريب, ومعه صبيّ يقوده. يجلس على كرسي قريب, ويصلح
أوتار عوده]

المغني :

أَسْعِدَ اللَّهُ الْأَمَاسِي
يَا مَلُوكًا يَا ذَوَاتْ

زياد :

عَفْوًا يَا مَوْلَانَا
نَحْنُ صَعَالِيكَ حَقًّا، لَكِنَّا نَقْدِرُ أَنْ
نَتَحَفَّكَ بِكَأْسٍ

[يصفق للخادم, فيجيئه]

زياد :

أَعْطِ الْأَسْتَادَ الْمَطْرِبَ كَأْسًا مِمَّا
نَشْرَبُ

المطرب : (ينطلق مغنيا)

وَاللَّهِ إِنْ سَعَدَنِي زَمَانِي لَأَسْكُنِيكَ يَا
مَصْرَ
وَابْنِي لِي فِيكَى جَنِينَةً فَوْقَ الْجَنِينَةِ
قَصْرَ
وَأَجِيبْ مَنَادِي يَنَادِي كُلَّ يَوْمٍ الْعَصْرَ
دَى مَصْرَ جَنَّةٍ هَنِيئَةٍ لِّلِّي يَسْكُنُهَا
وَاللّٰى بَنَى مَصْرَ كَانَ فِي الْأَصْلِ
حُلُوتَانِي
يَا لَيْلَى .. يَا عَيْنِي

زياد :

أَه .. قَلْبِي اللَّيْلَةَ مُثْقَلٌ ..
وَالْخَمْرُ تُلْسِعُهُ كَالْيُودِ عَلَى الْجَرْحِ
أَسْتَأَذِنُكُمْ أَنْ أَمْضِيَ
فَسَأَصْبِحُ أَثْقَلُ ظِلًّا بَعْدَ قَلِيلٍ

سعيد :

لَمْ .. ؟

زياد :

لَا أَقْدِرُ أَنْ أُنْسَى

حسان :
تنسى ماذا ؟
ما أبغي أن أنساه

سعيد :

هل لك غرفة تذكارات سوداء ؟

زياد :

فُتِحَتْ تستقبل أسودَ تذكاراتي الليلة

سعيد :

ما القصة أزياد ؟

زياد :

لا شيء
قل شعراً أسعيد
الليلة خمراً وغدا ... من يدرى
قُلْ شعراً .. أرجوك

حسان :

شعراً في مبعى ؟

زياد :

مثل المبعى في الشعر
معذرةً أسعيد
قل شعراً أرجوك

سعيد :

هذي آخر أشعاري
العنوان طويل
(يومياتُ نبيٍّ مهزومٍ, يحملُ قلماً,
ينتظرُ نبياً يحملُ سيفاً)
هذي يوميته الأولى:
يأتي من بعدي من يعطي الألفاظَ
معانيها
يأتي من بعدي من لا يتحدثُ بالأمثالِ

إذ تتأبى أجنحة الأقوال
أن تسكن في تابوت الرمز الميث
يأتي من بعدي من يبري فاصلة
الجملة

يأتي من بعدي من يغمس مدات
الأحرف في النار
يأتي من بعدي من ينعي لي نفسي
يأتي من بعدي من يضع الفأس
برأسي

يأتي من بعدي من يتمنطق بالكلمة
ويغني بالسيف

(هذا ما خط مساء اليوم الثاني) :

كُهان الكلمات الكتبة

جُهل الأروقة الكذبة

وفلاسفة الطلسمات

والبلداء الشعراء

جرذان الأحياء

وتماسيح الأموات

أقعوا - في صحن المعبد - مثل الدببة

حكوا أقفيتهم, وتلاغوا كذاب

الحانات

لا يعرف أحدهم من أمر الكلمات

إلا غممة أو هممة أو هسهسة أو

تأناة أو فافاة أو شفشقة أو

سفسفة أو ما شابه ذلك من أصوات

وتسلوا بترامي تلك الفقاعات

لما سكروا سُكر الضفدع بالطين

لما سكروا سُكر الضفدع بالطين

ضربوا بنعيق الأصوات المجنون

حتى ثقلت أجفانهم, واجتاحتهم

شهوة عريضة فظة

فانطلقوا في نبرات مكتظة

ينتزعون ثياب الأفكار المومس

والأفكار الحرّة

وتلوكُ الأشداقُ الفارغةُ القدرة

لحم الكلمات المطعون

حتى ألقوا ببقايا قيئهم العيين

في رجم الحق

في رجم الخير

فِي رَجْمِ الْحَرِيَّةِ
(هَذَا مَا خَطَّ مَسَاءَ الْيَوْمِ الثَّالِثِ) :
لَا أَمْلِكُ أَنْ أَتَكَلَّمَ
فَلْتَتَكَلَّمْ عَنِّي الرِّيحُ
لَا يُمْسِكُهَا إِلَّا جُدْرَانُ الْكُوْنِ
لَا أَمْلِكُ أَنْ أَتَكَلَّمَ
فَلْيَتَكَلَّمْ عَنِّي مَوْجُ الْبَحْرِ
لَا يُمْسِكُهُ إِلَّا الْمَوْتُ عَلَى حَبَاتِ الرَّمْلِ
لَا أَمْلِكُ أَنْ أَتَكَلَّمَ
فَلْتَتَكَلَّمْ عَنِّي قَمَمُ الْأَشْجَارِ
لَا يَحْنِي هَامَتَهَا إِلَّا مِيلَادُ الْأَثْمَارِ
لَا أَمْلِكُ أَنْ أَتَكَلَّمَ
فَيَتَكَلَّمْ عَنِّي صَمْتِي الْمَفْعَمُ
(هَذَا مَا خَطَّ مَسَاءَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ) :
لَا .. لَا .. لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَنْ أَتَكَلَّمَ
يَا أَهْلَ مَدِينَتِنَا
يَا أَهْلَ مَدِينَتِنَا
هَذَا قَوْلِي :
انْفَجَرُوا أَوْ مَوْتُوا
رَعِبْتُ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا سَوْفَ يَجِيءُ
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَعْتَصِمُوا مِنْهُ بِأَعَالِي
جَبَلِ الصَّمْتِ أَوْ بَيْطُونِ الْغَابَاتِ
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَخْتَبِئُوا فِي حَجَرَاتِكُمْ
أَوْ تَحْتَ وَسَائِدِكُمْ، أَوْ فِي بِالْوَعَاتِ
الْحَمَامَاتِ
لَنْ يَنْجِيَكُمُ إِنْ تَلْتَصِقُوا بِالْجُدْرَانِ، إِلَى
أَنْ يَصْبَحَ كُلُّ مِنْكُمْ ظَلًّا مَشْبُوحًا عَانَقَ
ظَلًّا
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَرْتَدُّوا أَطْفَالًا
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَقْصُرَ هَامَاتِكُمْ حَتَّى
تَلْتَصِقُوا بِالْأَرْضِ
أَوْ أَنْ تَنْكَمِشُوا حَتَّى يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ
فِي سَمِّ الْإِبْرَةِ
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَضَعُوا أَقْنَعَةَ الْقِرَدَةِ
لَنْ يَنْجِيَكُمُ أَنْ تَنْدَمِجُوا أَوْ تَنْدَغَمُوا
حَتَّى تَتَكَوَّنَ مِنْ أَجْسَادِكُمُ الْمَرْتَعْدَةِ
كَوْمَةُ قَاذُورَاتِ
فَانْفَجَرُوا أَوْ مَوْتُوا
انْفَجَرُوا أَوْ مَوْتُوا

(وهذا ما خط مساء اليوم الخامس):

يا سيّدنا القادم من بعدي
- أَصَقَّتْ لُنْزُلَ فِينَا أَجْنَادُكَ ؟
- لا , إِنِّي أَنْزَلَ وَحْدِي
- يا سيدنا القادم من بعدي
هل أَلْجَمْتُ جَوَادُكَ ؟
- لا , ما زال جَوَادِي مُرَحَّى بَعْدِ
- يا سيّدنا - هل أَشْرَعْتَ حَسَامُكَ ؟
أو أَحْكَمْتَ لثَامُكَ ؟
- لا , سِيفِي لَمْ يَبْرَحْ جَفَنَ الْغَمْدِ
وَأَنَا لَا أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَّا فِي أَوْجِ
المَجْدِ
أو فِي بَطْنِ اللَّحْدِ
- يا سيدنا, هل أَعْدَدْتَ خُطَابُكَ أَوْ
نَمَّقْتَ كَلَامُكَ ؟
- لا .. كَلِمَاتِي لَا تُولَدُ أَوْ تَنْقَدُ
- يا سيدنا ... الصَّبْرُ تَبَدَّدَ
واللَّيْلُ تَمَدَّدَ
- أَنَا لَا أَهْطُ إِلَّا فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
فِي مُنْتَصَفِ الْوَحْشَةِ
فِي مُنْتَصَفِ الْيَأْسِ
فِي مُنْتَصَفِ الْمَوْتِ
- يا سيدنا, إِمَّا أَنْ تَدْرِكَنَا قَبْلَ الرَّعْبِ
القَادِمِ
أَوْ لَنْ تَدْرِكَنَا بَعْدُ

حسان :

نَضَجْتُ أَشْعَارُكَ أَسْعِيدُ

زياد :

أَحْلَى مَا قُلْتُ
أَحْلَى مَا فِيهَا أَنْكَ تَنْعَى هَذَا الْجِيلَ
الْآسِنُ
جِيلَ لَا يَصْنَعُ إِلَّا أَنْ يَنْتَظِرَ الْقَادِمَ
جِيلَ قَدْ أَدْرَكَهُ الْهَرَمُ عَلَى دَكِّ
الْمَقْهَى وَالْمَبْعَى وَالسَّجْنِ
جِيلَ مَمْلُوءٍ بِالْمَهْزُومِينَ الْمَوْتَى قَبْلَ
الْمَوْتِ

سعيد :

هذا حقُّ أزياد
فأنا أشعر أنَّا جيل قد مات ولم يولد
بعد
لا يقدر أن يصنع شيئاً، حتى في
الحُبِّ

حسان :

بمناسبة الحُبِّ
هل صفحتُ ليلي عنك ؟

سعيد :

ليلى تبغي أن تعبر بي الجسر إلى
مُدن الأحياء
لكني لا أقدر إلا أن أثوى في الشط
المهجور
فهناك مقبرتي، وخُلِّيَّ الزائفة،
وأهرامي الوهميَّة
ليلى تبغي رجلاً تتكئ على جذع
وأنا بضعةُ أحطاب طافحة فوق الماء
الراكد

حسان :

سعيد
هل تنوي أن تنساها ؟

سعيد :

لا ينسى المرء بحسنِ النية

حسان :

حاول ..

سعيد :

لا أنوي أن أنساها ..
بل أنوي أن أحيها مثل حياتي
للمستقبل
مثل حياتي للحرية والعدل

مثل حياتي للحلم
حلم لا أقدر أن أملكه, لكني أقدر أن
أتمناه

حسان :

سعيد
هل تعلم أن حسام
يتقرب من ليلي ؟

سعيد :

هو أيضا يتمناها

زياد :

الدودة في أصل الشجرة

حسان :

ماذا ؟

زياد :

هلوسة مخمورة

المغني :

هل لي في كأس أخرى, أسفاكم
رَبِّي من خمرِ الجنَّة؟

زياد :

تكفينا خمرُ الدنيا

[يصفق للخادم]

كأس أخرى للأستاذ

المغني : (يغني)

والله إن سَعَدَنِي زَمَانِي لِأَسْكُنْكَ يَا
مَصْرَ
وابني لي فيكي جنينة, فوق الجنينة
قَصْرَ

وأجيب منادي ينادي كل يوم العُصْر
دي مضر جنة هتية للي يسكنها
واللى بنى مصر كان في الأصل
حلواني

حسان :

سعيد
لكن ليلى مالت لحسام في هذي
الأيام
وحسام يعرف كيف يثير خيال امرأة
بالألفاظ الحلوة

زياد :

الدودة في أصل الشجرة

حسان :

ماذا ؟

زياد :

قلت لكم إني سوف أكون ثقیل
الظل
فضلاً عن أني مخمور سعيد :
زياد
ماذا تطوى في قبضة فكرك ؟

زياد :

أشياء

سعيد :

قُلها

زياد :

سأوجِّلها للغد

حسان :

أطلق ما في نفسك من أحزان أو

أفكار
نحن صديقاك

زياد :

وصديقه

سعيد :

مَن ؟

زياد :

الدوده ..

حسان :

زياد .. لا تبك
حدّثني, أسمعني صوتك
ما الموضوع ؟

زياد :

حسام جاسوس

حسان :

ماذا ؟

زياد :

جُئِد في السجن

حسان :

هات البرهان
هات البرهان, وإلا أظلمت الدنيا في
عينيك الكابيتين
قبل قيامك من هذا الركن
لا تغفل صيئة زميلٍ واسم مناضل
في جهشة صوتٍ مبوحٍ واهنٍ
وكأنك تنفخ مصباح صفيحٍ صدئ قبل
النوم
قل إنك سكران

قل إن لسانك قد زلّ
قل إنك تكرهه في طينة أعماقك
حتى إنك قد تبصره في الحلم الآسِن
جاسوساً أو ما أشبه
هات البرهان
أرأيت بعينيك الصاحيتين حساماً
يتجسس ؟
أسمعت بأذنيك ؟
هل ضيقت عليه حبل الأسئلة فأفصح
بعد تلغثم ؟
قل .. قل ..

زياد :

نعم .. نعم .. نعم .. نعم ..

حسان :

نعم .. نعم
لا يثبت شيئاً أن تجهش وتتمتم

سعيد :

رفقاً يا حسان, فإن زياداً متعب
دعه يتكلم

زياد :

لم يكُ بالداخل إلاه
حين دخلت

حسان :

أين ؟

زياد :

في غرفة مكتبنا بالدار

حسان :

متى ؟

زياد :

قبل مجيئي بقليل
كنت نسيْتُ النظاراتِ, فَمِلْتُ لأبحثَ
عنها .
كان يحدثُ شخصاً ما بالتليفون,
ويضحك أحياناً
أو ينصت
لم يشعر بوقوفه عند الباب

حسان :

ماذا كان يقول

زياد :

كان اسمك أول ما سمعتهُ أذني, إذ
كان يؤكد أنك إرهابيُّ فعجبت
وأطرقت
وسمعت اسميَ واسمَ سعيد واسمَ
الأستاذ
كان يخاطب من في الطرف الآخر
بأفندم
يستمهله حتى يأتيه في صبح الغد
في مبنى الأمن العام وهرفته تقرير
مكتوب

حسان :

هل خاطبتُه ؟

زياد :

لما وضع السماعه

حسان :

ماذا قلت ؟

زياد :

قلت له في صوتٍ أنكرته
لما ارتدّ لسمعي
حسام ..
هل تعمل في الأمن العام ؟

حسان :

ماذا كان الرد ؟

زياد :

رجفت شفتاه قليلاً ثم استغرق في
ضحك فاطر
ودعاني أن أجلس
حدثني عن قسوة عيش السجن
هل كان يهدّدي.. أو يبحث عن تبرير
لا أدري
واستطرد حتى قال
إن مجابهة الأمر الواقع أعلى درجات
التكتيك الوطني

سعيد :

ماذا ؟

زياد :

هذا ... ما قال

سعيد :

ماذا يعني ؟

زياد :

حين استوضحت أجاب, وقد أشعل
سيجاره
اسمع زياد
ما أسهل أن نتعرض للسلطة حتى
نعطيها تبريراً للبطش
لكنّ العمل الوطني
لا يحتاج إلى القوة والعزم فحسب
بل يحتاج إلى الحيلة والذهن
والتكتيك الأمثل
هو أن نلتف على السلطة في رفق,
ثم نشد الجذر المتعطن
بل قد تستدعي الحكمة في بعض
الأحيان

أن نتنازل عن بعض صلابتنا الثورية
حتى تكسب ثقتهم فيما لايتعرض
للمبدأ
عندئذٍ نهزمهم من داخل ..

سعيد :

داخل ماذا ؟

زياد :

لا أدري

حسان :

وغدُ سافلُ
قلت له إني قد أنصتُ إليه
وهو يقدّمُ للسلطة تقريراً عتاً
فأجاب, وقد مدّ ذراعيه في دهشة
لا .. لا .. أزياد
أنا أشرف مما تتصور
فالتكتيك :
هو أن نعطي للسلطة معلوماتٍ كاذبةً
عن أنفسنا
حتى تهدأ عينُ الأعداء, فنكمل لعبتنا
في إحكام

سعيد :

أية لعبة ؟

زياد :

لا أدري
كان الموقف مملوءاً بكآبته الوحشية
وهواء مقرور يتسلل من نافذة ما,
يجعلنا نلتف ونقعي مقرورين
كنا مشبوحين على كرسيين, عدوين
فجائيين قناعين على كتلة جسدين
خوف وبرود مجروح في عينية
ونفس فاترة ومعدبة في آنٍ واحد
والحجرة كانت تتأرجح في كونٍ خالٍ

إلا منها
خالية إلا منّا مشبوحين على
الكرسيين
والأصوات ترن على أسقفها الستة,
ثم تعود إلينا
وتمنيت للحظة
أن يدخل من يقطع جلستنا

حسان :

هل جاء أحد ؟

زياد :

الساعي يستعجلنا
ونزلنا فوق السلم
كنت مشوقاً أن أبصر نور الشارع
والماء والسيارات وماء النيل
أمسك بذراعي عند الباب, وحدّق في
عينيّ, وقال:
زياد .. هل تكتم هذا السر ؟
كانت عيناه كعيني ذئب مجروح
لو كانت في جيبى مرآة عندئذ
لنظرت إلى عينيّ
فلقد كان وجودهما يؤلمني
فجأة ...
وضع ذراعاً في كتفي, وقال :
أنا أملك أن أنفك وأوديك

حسان :

وغدّ وجبان
ماذا قلت ؟

زياد :

لم أنطق كلمة
وبدون تحية
انحدرت خطوئه فوق رصيف الشارع
حتى ضاعت في الميدان

حسان :

ماذا قال لمندوب السلطة
لما ذكر اسمي ؟

زياد :

إنك إرهابي

حسان :

لم يخطئ فيما قال
وسأبدأ وطأة إرهابي به
الأخبار توافيكم في صبح الغد
[حسان ينهض مندفعاً، ثم ينطلق إلى
الطريق]

زياد :

ماذا نفعل ؟

سعيد :

انظر أين مضى حسان ؟
[يذهب، وينظر في الخارج، ثم يعود]

زياد :

لا يظهر في الخارج

سعيد :

هل تعرف بيت حسان ؟

زياد :

بالتقريب

سعيد :

هيا نذهب

زياد : (يصفق للخادم، فيأتي)

خذ هذا الآن ..
نتحاسب فيما بعد
[ستار]

الفصل الثالث

المنظر الأول

بيت حسام. حسان على الباب الخارجي يدق الجرس. يخرج حسام من غرفة داخلية مزيجا عن عينيه آثار النوم.. يفتح الباب. يدخل حسان

حسام :

أهلاً حسان
ما الساعة ؟

حسان :

تقترب من الفجر
هل أدخل ؟
(يدخل)

حسام : (ضاحكا)

لكن لا أبعد مما أنت الآن
حدُّك هذا الباب, ولا ترفع من صوتك

حسان :

هل عندك زوّار ؟

حسام :

سيدة الزوّار
امرأة أحلى من أحلامي بالمرأة
أخشى أن تجرح منكبها العاري عينك
الجائعتان

حسان :

تبدو مسروراً

حسام :

هذا حق
أشعرُ بعد تمام النشوة أني أبحرُ
إلى قلب الأشياء وعُدَّتْ

بمناسبة الإبحار
أية ريح طيبة حملتك ؟

حسان :

ريح الشوق

حسام :

شكراً
أرأيت الزملاء الليلة ؟

حسان :

قصَّيتُ الليلة في مأتمِّ

حسام :

يتضوع من أثوابك عطر الويسكي
النفادُ
هل كانوا يسقون الويسكي بَدَل
القهوة ؟

حسان :

فعلاً

حسام :

من كان الميت ؟

حسان :

أنت ...

حسام :

حسان
لم جئت مع الفجر ؟

حسان :

جئتُ لقتلك

حسام :

هل قابلت زياد الليلة ؟

حسان :

وتحدثنا عنك

حسام :

هل صدقته ؟

حسان :

هل هو كاذب ؟

حسام :

بالطبع

حسان :

فى ماذا ؟

حسام :

يتخيل أنى أنقل أخباراً للشرطة

حسان :

هل لا تفعل ؟

حسام :

قد كنت أحدث أحد الضباط

رجل طيب ..

ممن حرسوني فى السجن

فتوهم أنى أنقل أخبارا

حسان :

هل جاء اسمى فى معرض ثرثرتك

مع هذا الرجل الطيب

حسام :

بالخير

حسان :

حدثني أنك قلت لهذا الرجل الطيب
إني إرهابي
مع أنك ظلي وصديقي. ورفيق
الدرس,
وخذن الشارع والمقهى
لا تنقصنا إلا رابطة الدم ..

حسام :

لا . بل هو كاذب
قلت له إنك مأمون ومسالمة

حسان :

من ذيلك عصنك المصيدة المفتوحة
يا فأر البالوعات العطنة
نفسية جاسوس
تتوهم أنك ترضيني حين تعزيني من
ثوبي الزاهي
كي تخلع في أكتافي هذي المرق
الباهتة الألوان
هيا استغفر ربك
إن كانت تصعد للعرش الأنفاس النينة
[يخرج مسدسه]

حسام :

حسان لا تكُ مجنوناً واسمعي

حسان :

اركع, وامدد كفيك, وحدّثني
إنك تستجديني أيامك

حسام :

حسان .. أرجوك
إنك لا تعرف ما السجن ...
لا تعرف معنى أن ينغرس القفل
الصلب بأعصابك حتى تتحطم رأسك

أن تلقيك الأيام الفاقدة المعنى
والاسم
فى أيام فاقدة المعنى والاسم
حتى تخشى أن تصحو يوماً لا تعرف
من أنت

حسان :

فى شهرين سقطت ؟
يا للإنسان الورقة !

حسام :

ما كنت سجيناً, يحسب أيامه ...
يسقط يومٌ فيعدّ,
كم بقي على الموعد
تتعلق عيناه فى حبل الغد
يتوقع يوماً أن يأتي السجنان, وفي
عينيه
نظرة إنسان فى عيني إنسان
بل معتقلاً
لا يدري هل يبقى عاماً أو أعواماً أو
أجيالاً حتى يتحلل فى الأسفلت
الأسود
سيّان لديه اليوم الواحد والأبد الممتدّ

حسان :

قتلوك وألقوا بك جثّة
فأنا إذ أقتلك الآن
لا تحمل نفسي وزرا
إذ إنني أقتل مقتولا

[جرس الباب الخارجى يرنّ فى اللحظة التى يتأهب فيها لإطلاق
الرصاصه, فيندفع حسام ليطيح بالمسدس, ولكن حسانا يطلق الرصاصه
فلا تصيبه, ينطلق حسام عدوّاً نحو الباب, ليطل منه وجهها سعيد وزيا]

[تخرج ليلى من الغرفة الداخلية بملابس تحتية على صوت الرصاصه .
ينطلق حسان خلف حسام] .

حسان :

فَرَّ الجاسوس
لا بدَّ وأن أتبعه حتى أقصى الأرض

[يصطدم حسام بسعيد وزباد, ثم حسان, كلاهما يعدو. وزباد ينادي من
أعلى السلم]

زياد :

حسان ... حسان

[ينطلق خلفهما, ويلمح سعيد وجه ليلي, يدخل]

سعيد :

ليلي ...!
ليلي (وهي تفتش عن بعض
ملابسها) :
أبغى أن أخرج

سعيد :

بل ظلّي بعضَ الوقت
فأنا أبغى أن أعرفُ

ليلي :

ماذا تبغى أن تعرف
المشهد أثقلُ من أن يُثقل بالشرح
بيتٌ, و امرأةٌ عاريةٌ الكتفينِ وشعرٌ
محلولٌ
[تلبس جوربها]

سعيد :

هل نالك يا ليلي ؟

ليلي :

فى صدري رائحة منه حتى الآن

سعيد :

اغتصبك يا مسكينة

ليلى :

بل نام على نهديّ كطفل
وتأملني في فرح فياض يطفر من
زاويتي عينيه
وتحسّسني بأصابع شاكرة ممتنه
فتملكني الزهو بما أملك من ورد
ونبيذ وقطيفه
وتقلبت على لوحة فرشته البيضاء
متألقة كالشمس على الجدول
فتمدّد جنبي, فمنحّنه
أعطاني, أعطيه
حتى غادرني متفرقة ملمومه
كالعنقود المخلّ
[تأمل نفسها في المرأة, وهي
تبحث عن بقية ملابسها]

سعيد :

قد خدعك يا مسكينه
الجاسوس

ليلى :

وشوشني في صدق يخنقه الوجد
إني أتملك أحلى ما يحلو في عيني
إنسان

سعيد :

هل أحببتِه

ليلى :

أقسم أن يتزوجني

سعيد :

آه .. يا للكابوس
خدر ملعون يهبط من رأسي حتى
قدمي
إني أنهار
أتخلخل مقروّراً كالجبل الثلجي

ليلى .. النور .. أمي .. أمي
هذا المصباح, أضيئه, اللعنة
رأسي تسقط عن جسمي
ليلى .. ليلى .. أمي
(يغمي عليه . فتندفع إليه ليلى
صارخة)

ليلى :

سعيد .. سعيد

حبيبي

[ستار]

المنظر الثاني

[سعيد وليلى في نفس الغرفة. يملؤها نور النهار الباهر. سعيد قد تمدد
على الأرض متكئا بظهره إلى أحد المقاعد ورأسه نائم على ذراع ليلى
تجلس بجانبه. على مظهرهما الإعياء الشديد]

سعيد :

هل نمثُ كثيرًا ؟

ليلى :

هذا نور الظهر الباهر

سعيد :

سدّي هذا الشباك المزعج
عيني يجلدها النور

[تقوم لتسد الشباك ثم تعود إلى نفس جلستها]

ليلى :

كنت تنادينني في نومك
ليلى .. ليلى
وأميلُ عليكِ إلى أنْ تلسعَ أنفاسُك
أذنيَّ
فإذا بك لا تفصحُ
أو تنشج في صمت
وتعود إلى إغمائك

سعيد :

وقتٌ مفقودٌ بين الوقتين
عمرٌ مفقودٌ بين الماضي والمستقبل
ليلى .. أعطيني جرعة ماء
فالخمرة ما زالت في حلقي

[تقوم لتحضر له الماء, ثم تعود إلى نفس جلستها]

آه لو أستفرغ ما في أمعائي
لو أستفرغ ما في نفسي

ليلى :

سعيد
إنك تحتاج إلى الراحة
بعد قليل أضحكُك إلى البيت
وهناك تنام إلى أن ترتاح

سعيد :

بيتي ؟

ليلى :

إن شئت

سعيد :

هل تبقين معي ؟

ليلى :

حتى ترتاح

سعيد :

إشفاقا منك عليّ ؟

ليلى :

سعيد
كانت رأسك تتوسّد صدري حين
غفوت

أحيانا كنتُ أحس بقبضتك العصبية
تتجول في لحمي

سعيد

إنى أفتّح لك, لا جسمي
بل كل مغاور روحي, وكهوفي
المنسيّة

سعيد

هل تأخذني يوما ما ؟

سعيد :

(مدن كمدینتنا المفتوحة
لا تحمي ورد حدائقها من نقر
الغربان
أو من قبلات الظل الهيمان)
أبيات من شعري

ليلی :

سعيد
نم حتى ترتاح
ساعدي أن أنسى هذا اليوم المزعج

سعيد :

صارت لك غرفة تذكارات سوداء
فليدخل كل منّا غرفة تذكاراته
قد نخرج منها يوماً ما أطفالاً بيضاً
كالثلج

[يتمددان على الأرض, مسترخيين إلى المقعد]

الخمرة تنهش حلقي
ليلی .. هل لي في سيجارة ؟

[تقوم ليلی, لتبحث في معطفه الملقي عن سيجارة وتشعلها له]

مطفأة ... يا ليلی

[تبحث ليلى حتى تجد تمثالاً صغيراً من الحجر في قاعدته مطفأة
فتقدمها له, ثم تعود إلى جلستها الأولى]

فى صغري كنت أدخّن خِلْسَه
كنت أكاد أطير مع الدخان
بل كنت أطير إلى أنْ يصدمني صوتُ
ما,
صوتُه
أوه .. لا طعم لشيءٍ, لا أفتح باباً إلا
واجهتُه
آه .. روعي ممثله .. من يكسرها لي
؟
وبيعثر ما تحويه في أركان الأرض

ليلى

لو كنّا نملكُ أنْ نتخيّر
ما ننسى أو نتذكر
لو كنّا نملكُ أنْ نصنّع ماضينا ..
لا , هذا المشهد من عمري أبغي أن
ألقيه للريح
لا .. هذا سأسوّد جزءاً منه وأظلل
آخر
لا .. هذا المشهد أبقيه
بل إنني أبغي أن يتمدد في قمة
ذاكرتي الطافية على سطح النسيان

ليلى :

ماذا تبغي أن يبقي في قمة ذاكرتك
؟

سعيد :

ليلى
لا أنسى منظرَك, وأنت تقولين
لما كنّا نجرى تجربة الأدوار
فى غرفة مكتنا بالدار
أحفاً حبيب القلب أنت بجانبى أحلم سرى أم نحن منتبهان
أبعد ..

ليلى : (تستأنف)

أحفاً حبيب القلب أنت بجانبني أحلمُ سَرَى أم نحن منتبهانِ
أبعدُ تراب المهد من أرض بأرض ثقيف نحن مغتربانِ
عامرٍ

سعيد :

حنانيك ليلي, ما لخلّ وخلّهِ من الأرض إلا حيث يجتمعانِ
فكل بلاد قرّبت منك منزلي وكلُّ مكان أنت فيه مكاني

ليلى :

فما لي أرى خديك بالدمع بللاً أَمِنْ فرح عيناك تبتدرانِ

سعيد :

فداؤك ليلي الروح من شرِّ رماك بهذا السقم والذوبانِ
حادثٍ

ليلى :

تراني إذن مهزولة قيس, حبذا هزالي, ومن كان الهزال
كساني

هو الفكر

سعيد :

ليلى, فيمن الفكر ؟

ليلى :

في الذي تجنّى

سعيد :

كفاني ما لقيت كفاني

ليلى :

أدركت أن السهم يا قيس وأنا كلينا للهوى غرضانِ
واحدٌ

سعيد : (يصفق لها محيياً)

ليلى
أوشك أن أرجع للإغماء
ليلى .. ضمّيني في حضنك
التصقي بي حتى أسمع نبض عروقك

ليلى :

نَمْ أرجوك .. حبيبي
نَمْ .. نَمْ
فى رأسك بضع شعيرات بيضاء
لم أبصرها من قبل
وسأنزعها يوماً ما

[سعيد يغمض عينيه, ويغفو.. يدخل حسام]

حسام :

ما هذا ؟ عجباً . تحتلّان البيت كأني
قد مِتُّ.
أعجب من هذا
أن تنفّلتني من بين ذراعي كي
تنزلقي بين ذراعي رجل آخر

[يتقدم حسام, ويقف بين أقدامهما الممتدة]

ليلى :

حسام
أرجوك .. سعيد نائم
بل ومريض يحتاج إلى الراحة
خفّض من صوتك

حسام :

ما شأني أنا به
ألقِ به جنب الحائط أو فوق العتبة
حتى يسترجع وعيه
فلقد كان صديقاً للمجرم

ليلى :

من ؟

حسام :

حسان
أبلغت الشرطة عنه
هددني بالقتل , ولم أرجع إلا بعد
القبض عليه
ألقِ بهذا الطفل المتماوت في أي
مكان

ليلى :

حسام

حسام :

كانوا يبغون دمي
دمهم سوف يسيل على أعينهم
كالقيح
الكذابون .. القتل

[يدفعه بحذائه]

قُم .. يا كلب

ليلى : (وهي تمسك بحذائه)

حسام .. رفقا
فسعيد متعب
لحظات . وسنمضي عن بيتك

حسام :

لا . بل يمضي وحده
أنت تطلّين معي , نشرب كأسا أو
نسمع بعض الموسيقى
نتسلق سلمها حتى نصل إلى آفاق
الأمس

[يقترب منها ليرفعها , فيغيق سعيد ليجده أمامه]

سعيد :

ماذا ؟ أنت ؟

حسام :

قم يا طفلي الضائع فامضِ إلى
الشارع
أو فاضمت وتناوم
وأدِرْ وَجْهَكَ للحائط
هيا .. يا ليلي

[سعيد ينهض والتمثال في يده, وينهال به على حسام]

حسام : (عند أول ضربة)

غافلني المجنون

ليلى :

مجنونُ .. مجنونُ .. مجنونُ

[تهرع للشباك لتفتحه]

سعيد : (يسقط إلى الأرض, وهو يصيح)

لن تأخذها مني
لن تأخذها مني

[صوت بائع صحف ينادي, ويصل صوته من الشباك المفتوح]

البلاغ.. المسائية.. القاهرة احترقت..
حريق القاهرة..
الأحكام العرفية.. حريق القاهرة..
حريق القاهرة..
[ستار]

المنظر الثالث

[غرفة التحرير]

[الأستاذ - زياد - حنان - سلوى]

الأستاذ

وكما كان الأبطال القدماء
ممن حفظت سيرتهم قصص الشعراء
الجوالين وأسماء الفقراء

سنودع قتلانا، نتهشم فوق شواهدهم
حزناً مكبوحاً وأنينا
ثم نللم ما ذاب حنيناً من أنفسنا،
ونغني ونشدُّ الدرع، ونبري الأقواس،
ونرحل فرساناً محزونين وحكماء
فالمعركة المحتمة
لا تمهلنا حتى نمنح إخواناً شرفاء
ما هم أهلُّ له
من دمع وبكاء
والآن ...
لنودّع من ضاعوا منا في طُرق
الوُخْشِ
ولنذكر أنا قدّمناهم قرباناً للريح
كيّ تجتاز بنا البحرَ إلى مدنِ
المستقبل

زياد :

أستاذي الطيب
هل نرحل للمستقبل
في سفن من ورق الصحف الأصفر ؟

الأستاذ :

رفقاً يا ولدي !
هذا ما نملك أن نفعل
لا بد وأن نؤمن في شيء

زياد :

لكن يا أستاذي الطيب
من أي المدن سنرحل
فلعلك تعلم ..
أن مدينتنا احترقت

الأستاذ :

أنت تعذبني يا ولدي المحبوب
ارفق بي .. أرجوك
أنا لا أبغي أن أتجادل
بل إني لا أبغي حتى أن أتكلم
ولقد كنت أسائل نفسي قبل مجيئي

الآن
ماذا نفعل ؟
ولماذا نتجمّع , نتفرّق
نتأمل أو نبكي , نضحك أو نتحذلّق
نصرخ , وندخن
نتهلل ونئنّ
ما دمنا أغفينا ذات مساء
وتركنا حبة أعيننا في كنف الغرباء
ممن زعموها ابنتهم
وصحونا لنراها انتهكت متمددة
مستسلمة في فرشتها الخضراء
أنى لَمَّا كان القتلُ يأتمرونَ
وينقسمونَ إلى أشياعِ النارِ وأشياعِ
السكين
كنت أداعب طفلي
قل لي يا ولدي
في أي مكانٍ كُنْتُ
في ليل الموت ؟

زياد :

في دار بغاء
ولهذا لن أكتب حرفاً بعد الآن

الأستاذ :

لا ... لا يا ولدي
لابدّ وأن نعلو فوق المأساة
نتجاوزها لكن لا ننساها
يوماً سنعيد بناء مدينتنا الحلوة
قاهرة الأيام, الحب الأول...

زياد :

لا أعرف يا أستاذي كيف أحلّق فوق
المأساة
والمأساة ردائي, وشمّ فوق جبيني,
قيّد في قدّمي

سلوى :

يكفي هذا .. أزياد

أستاذي
أنا قادمة لأودّعكم

الأستاذ :

هل تتخلى عنا يا سلوى ؟

سلوى :

ذكراكم ستظل بقلبي
الفرسان الحكماء المحزونون .. كما
قلت

الأستاذ :

لكن .. لِمَ يا سلوى ؟

سلوى :

أتزوج ... يا أستاذ

الأستاذ :

هل تنتظرينه ؟

سلوى :

لا .. يا أستاذ
لن أتزوج حسان
بل أتزوج مصلوباً مثلي
كي تغنى أحزاني في أحزائه
عالمنا, عالمكم, عالم حسان قد مات
ولهذا فأنا أذهب للدير

الأستاذ :

الدير
آخر ما يخطر في بال

سلوى :

أول ما خطر ببالي حين احترق العالم
في قريتنا دير, أذهب كي أطرق بابه

زياد :

أنا أيضا أحمل أخباراً يا أستاذ
قد غيّرُ طريقِي
حدثني أحد أصحابي عن روضة
أطفال في بلدتهم تطلب من
يتعهدها
وسأجمعُ أمتعتي اليوم, وأرحلُ في
الغد

حنان :

هل تأخذني معك زياد ؟

زياد :

بل إني أرجو

حنان :

أنا أيضاً مغرمةٌ بالأطفال

زياد :

أنا أوّمن بالأطفال

حنان :

أين أقيم ؟

زياد :

هاتي أمتعتك وامضي خلفي

حنان :

اليوم ... زياد

زياد :

اليوم

الأستاذ :

لم هذا .. يا أبنائي ؟

لا تدعوني وحدي في شيخوختي
الصدئة
أحمل عبء الكلمة
أيئسُّتم ؟ .. ستسير الأحوال إلى شطِّ
الخير

سيعود سعيد .. وحسان
وسينضم إلينا فرسانُ جدِّ، أصلبُ
منا عوداً، أكثرُ منا قُدْرَه
وسنكتبُ .. ونمثِّلُ، ونحبُّ
وستصبح هذي الأيام المرَّة
ذكرى واهنة منطفئة

[يدخل الحاج علي عامل المطبعة]

الحاج علي :

عفوا يا أستاذ
الشرطة في المطبعة يلمّون الأعداد
الآن
ويقولون : الرخصة قد سُحِبَت

الأستاذ : (بعد برهة)

زوجك ينتظرك يا سلوى
والأطفال يريدونكما .. يا ولديَّ
انصرفوا يا أبنائي , دون وداع
وسأبقى وحدي لحظاتٍ كي أجمع
أوراقى ثم ..
أزور سعيداً في السجن
وأعودُ إلى بيتي
كي أنتظرَ غداً قد يأتي أو لا يأتي
لا .. لا .. دون وداع .. أرجوكم
دون وداعُ

[يجلس على المكتب, يجمع أوراقه, ثم ينادي] :

يا حاج علي
لا تنسَ أن تغلق باب المكتب
أن تغلق باب المبنى
هذا زمن لا يصلح أن نكتب فيه, أو
نتأمل, أو نتغنى أو حتى .. نوجَد
يا حاج علي

أغلق كل الأبواب
أغلق .. أغلق .. أغلق .
[ستار]

المنظر الرابع

[سعيد في الحبس]

[الأستاذ - سعيد]

الأستاذ ":

سعيد , هل أنت بخير ؟
أبشر ,
فالضربة ليست بمُمية
ولقد وُكِّلت صديقاً من أروع أهلِ
القانون
وستُخْرَج عن قرب

سعيد :

من أنت
هل أنت السيّد ؟

الأستاذ :

من ؟

سعيد :

آه .. أنت رسوله
هل يأتي في هذه الأيام
هل أشرع سيقه
أم ما زال السيفُ جنيماً في بطنِ
الغمد

الأستاذ :

سعيد
هل تبغي شيئاً ؟

سعيد :

أبغى أن أبعث برسالة
للقادم من بعدي
لكني لا أعرف عنوانه
ما دُمْتُ رسوله
فاحملها له
هي بضعة أسطر

[يخرج ورقة من جيبه, ويبدأ في القراءة]

يا سيدنا القادم من بعدي
أنا أصغر من ينتظرونك في شوق
محموم
لا مهنة لي, إذ إني الآن نزيل السجن
متهما بالنظر إلى المستقبل
لكني أكتبُ لكُ
باسم الفلاحين, وباسم الملاحين
باسم الحدادين, وباسم الحلاقين
والحمّارة , والبخّاره
والعمال وأصحاب الأعمال
والأعيان وكُتّاب الديوان
والبوابين وصبيان البقّالين
وباسم الشعراء وباسم الخفراء
والأهرام , وباب النصر , والقناطر
الخيرية ,
وعبد الله النديم , وتوفيق الحكيم,
والمظ ,
وشجرة الدر , وكتاب الموتى , ونشيد
بلادي بلادي
نرجو أن تأتي وبأقصى سرعة
فالصبر تبدّد
والياس تمدّد
إما أن تدركنا الآن
أو لن تدركنا بعد
حاشية : لا تنسَ أن تحمل سيفك

[يعطيه الورقة]

الأستاذ :

سعيد
هل أرسلُ لك دخاناً وطعاماً

سعيد :

لا .. فتّش لي عن لُعبه
كنت أراها وأنا طفل
رجل في ثوبٍ مهجّج
مخرومٌ ومعلّق
فى عقله سِلْكُ
تضغط ... يعلو
تضغط .. يهبط
طبعاً, في الأحوال العادية يهبطُ
لكن لا يسقط أبداً أو يخرجُ
من برواز السلْك

الشرطي :

عندك زوار

[تدخل ليلى]

ليلى :

سعيد:

سعيد :

هل ما زلتِ أسيره
فى أيدي الشركس والكهنه ؟

ليلى :

.....

سعيد :

ماذا ؟ لسعوك بالنار ؟
لا .. لا أخشى أن تنهاري , فتقصّي
قصّتنا السريّة
لفضولِ الشركس والغرباء

ليلى :

سعيد

سعيد :

عوقبت بحرقِ ردائك
حين تركتِ فؤادك لحماً في منقار
الغربان

ليلى :

.....

سعيد :

هل كنتِ تحبينه ؟

ليلى :

.....

سعيد :

هل كنتِ تحبينه ؟

ليلى :

.....

سعيد :

ملتِ إليه قليلا
لا تخشي أنْ أغضب

ليلى :

.....

سعيد :

يوماً ما ستحبين سواه
رجلاً يعرف أن اسمك ليلى
ويناديك باسمك
أنا ... أنا ...
أنا وقتُ مفقودُ بين الوقتين
أنا ...
أنا أنتظرُ القادم ...
[ستار]

منتدى حديث المطابع
موقع الساخر
www.alsakher.com